التفكك الاسري في النص المسرحي العراقي المعاصر (مسرحية شرف العائلة انموذجا)

Family Disintegration In Contemporary Iraqi Theatrical Texts (The Play "Family Honor" As A Model)

ميعاد عبود مانع الباوي

Miead Abboud Mani

قسم الفنون المسرحية / كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل

Department of Performing Arts / College of Fine Arts / University of Babylon

aadaali٠٤@gmail.com

أ.د. حميد علي حسون الزبيدي

Prof.Dr. Hammed Ali Hassoun Al-Zubeidi

قسم الفنون المسرحية/ كلية الفنون الجميلة / جامعة بابل

Department of Performing Arts / College of Fine Arts / University of Babylon

ameedali٧٠٢٧٠٣@gmail.com

المستخلص:

يشكّل التفكك الأسري أحد أكثر المؤشرات المهمة على اضطراب البنية الاجتماعية في المجتمعات المعاصرة، لما يخلّفه من آثار نفسية وسلوكية تمتد من نطاق الأسرة إلى المجتمع، وقد انعكست هذه الظاهرة على الخطاب المسرحي بوصفه مرآة للمجتمع وتحولاته، ليكون التفكك الأسري بالنسبة للمسرح موضوع رئيس لعرض هشاشة العلاقات الإنسانية وتصدّع منظومة القيم داخل الأسرة وخارجها، ومن هنا نشأت فكرة البحث بما تتضمنه من مشكلة مرتكزة على التساؤل التالي: كيف تجسدت ظاهرة التفكك الأسري في النص المسرحي العراقي المعاصر؟ أما هدف البحث فهو: التعرف على ظاهرة التفكك الأسري في النص المسرحي العراقي المعاصر.

وقد تم التثبت من أهمية البحث والحاجة إليه، وقد تحدد الحد الزماني للبحث ليكون في (٢٠١٩م)، والحد المكاني (العراق)، في حين جاء الحد الموضوعي في دراسة موضوع التفكك الأسري في النص المسرحي العراقي المعاصر، واختتم الفصل الأول بتعريف المصطلحات الأساسية الواردة في العنوان، وقد تم التوصل للتعريف الاجرائي للتفكك الاسري " هي مجموعة من المظاهر التي تؤكد حالة الانشقاق وعدم الترابط بين افراد الأسرة، تؤدي إلى تخلي كل أفراد الأسرة أو أغلبهم عن القيام بأدوارهم المنوطين بها تجاه الأسرة، والتي بدورها يجب أن تدعم استقرار الأسرة". وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج كان أهمها: أن المسرح العالمي طرح مجموعة من الصور المتنوعة من التفكك، المسرح العربي حاول معالجة أزمة التفكك الأسري من منظور يتجاوز التشخيص الاجتماعي، بينما جاءت أبرز الاستنتاجات متمثلة في : أنه يتضح من تحليل عينة البحث أن المسرح العربي لم يعالج التفكك الأسري بوصفه خللًا داخليًا يخص الأسرة وحدها، وأن المسرح العربي أظهر الأسرة العربية تتعرض لخلخلة بنوية.

الكلمات الدالة: التفكك الأسري، المسرح العراقي، النص المسرحي المعاصر، شرف العائلة، الظواهر الاجتماعية، الدراما العراقية.

Abstract:

The most important disruption in the social structure of contemporary societies is the psychological and behavioral impact it has on the family. This phenomenon has been reflected in the discourse that shows a mirror of formation and its transformations, as the separation of the family is a major theme for the theater to highlight human relationships and their breakdown, characters inside and outside the family. Hence lies its impact on the recognized society on the following question: How was the phenomenon embodied in contemporary theatrical texts? The aim of the research is to identify the phenomenon of family disintegration in contemporary theatrical texts. The importance of the research and the need for it were documented, and the limit of the work was established to (٢٠١٩ AD), after the (Iraq) aspect, while the topic came in the study of the topic of family disintegration in contemporary Iraqi theatrical texts. As for the first chapter, it is by defining the basic names in the title. The operational definition of family disintegration is: "a set of manifestations that confirm the state of split and lack of cohesion among family members, leading to the abandonment by all or most family members of their assigned roles that are essential for supporting family stability." The research reached a set of results, the most important of which was: that the diverse set of images appeared from Photoshop, the Arab tried to use viewpoints of social diagnostic diversity, while it presented similarly in: that it varied from the analysis of creative research to that the Arab theater did not highlight the disruption due to an internal defect that pertains to the family alone, and that the Arab theater shows the Arab family not due to a structural defect.

Keywords: Family disintegration, Iraqi theater, contemporary theatrical text, family honor, social phenomena, Iraqi drama.

١. المقدمة

تُعدّ ظاهرة التفكك الأسري من أبرز المشكلات الاجتماعية التي تعاصرها المجتمعات البشرية، إذ ترتبط بجملة من التحولات الاقتصادية والثقافية والسياسية التي أثّرت في طبيعة العلاقات داخل الأسرة، وأدّت إلى تراجع دورها التقليدي بوصفها وحدة متماسكة تقوم على التواصل والدعم المتبادل، وهو ما حول أزمة التفكك الأسري إلى ظاهرة عالمية تتنامى مع ازدياد الضغوط الحياتية، وأن آثاره لم تعد مقتصرة على حدود الأسرة ذاتها، بل تمتد لتطال بنية المجتمع بأكمله عبر ارتفاع معدلات العنف، والانحراف، والاضطرابات النفسية بين الأبناء.

وهو ما ينطبق كذلك على الوطن العربي، حيث تتخذ ظاهرة التفكك الأسري أبعادًا أكثر تعقيدًا نتيجة لما تشهده المجتمعات العربية من تغيرات متسارعة خلال العقود الأخيرة، مثل الحروب والتحولات السياسية والاقتصادية، وانتشار النزاعات، وتغير أنماط الحياة، واتساع الفجوة بين الأجيال؛ مما دفع الأسرة العربية إلى تخلل بنيتها وتفكيكها بصورة أكبر مما كانت عليه، ليتجلى هذا التأثير في ضعف الروابط الوجدانية بين أفراد الأسرة، وانتشار مشكلات مثل العنف الأسري، والتسرب الدراسي، والإدمان، الأمر الذي جعل الظاهرة تُعدّ من أهم التحديات التي تهدد الاستقرار الاجتماعي والثقافي في المنطقة العربية.

وقد ركزت الأدبيات الاجتماعية على مشكلة التفكك الأسري، كونها أزمة لا تنحصر في انفصال الأبوين أو غياب احداهما فحسب، بل تمتد ليشمل غياب التفاهم، وانهيار التواصل، واضطراب الأدوار داخل الأسرة، مما يؤدي إلى خلل نفسي وسلوكي ينعكس على بناء شخصية الفرد، ورغم تعدد الدراسات التي تناولت الظاهرة من منظور اجتماعي، فإن كثيرًا منها لم يتطرق بعمق إلى تجليات تلك الظاهرة في الاجناس الأدبية المختلفة، لاسيما في نصوص المسرحية التي تُعد مرآة حسّاسة لتحولات المجتمع، لما تمتاز به من ميزة الحدث.

فالنص المسرحي العربي، اعتاد منذ بداياته –الحديثة نسبيًا– أن ينشغل بمشكلات واقعه المعاش، فالنص المسرحي العربي كان دائمًا راصدًا للتحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها المجتمعات العربية، ومن القضايا التي أثارت اهتمام كتّاب المسرح العربي قضايا الحرية، والسلطة، والمرأة، والهوية، والفقر، والصراعات الاجتماعية، إذ شكّل المسرح منصة للكشف عن مكامن الخلل في البنى الاجتماعية، وعن التصدعات التي تطال الأسرة العربية بوصفها نواة المجتمع ومركز تشكيل الوعي.

وهو ما انطبق على المسرح العراقي بوصفه أحد أهم فروع المسرح العربي، والذي برز خلاله العلاقة الوثيقة بين النصوص المسرحية والواقع المتقلب الذي عاشه المجتمع العراقي خلال العقود الأخيرة، حيث سعت النصوص المسرحية العراقية إلى معالجة تلك المشكلات بصورة درامية، فاتجه كتاب المسرح العراقي نحو التعرض للأزمات الاجتماعية—ومن ضمنه التفكك الأسري—بوصفه مادة درامية تكشف حجم الصراع الداخلي الذي يعيشه الفرد والأسرة والمجتمع، مما جعل المسرح العراقي بيئة خصبة لدراسة الظواهر الاجتماعية بعمق وجرأة.

١.١ مشكلة البحث

النص المسرحي مرآة دقيقة للتحولات الاجتماعية والإنسانية التي يمر بها المجتمع، إذ يتكئ الكاتب المسرحي على قضايا الأسرة بوصفها النواة الأولى للبناء الاجتماعي، وما يطرأ عليها من تصدّعات ينعكس بالضرورة على الفرد والجماعة، وفي ظل ما شهده المجتمع العراقي المعاصر من أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية متلاحقة، برزت ظاهرة التفكك الأسري كإحدى القضايا الملحّة التي وجدت صداها الواضح في الخطاب المسرحي، سواء على مستوى البناء الدرامي أو رسم الشخصيات أو تصاعد الصراع، الأمر الذي يستدعي الوقوف عندها بالدراسة والتحليل النقدي.

وبناءً على ما سبق، اهتمت الباحثة بدراسة ظاهرة التفكك الأسري في النص المسرحي العراقي المعاصر، لما لها من حضور واضح وتأثير بالغ في الواقع الاجتماعي، واختارت مسرحية "شرف العائلة" أنموذجًا تطبيقيًا لتحليل كيفية تمثيل هذه الظاهرة داخل البنية الدرامية، والكشف عن أبعادها النفسية والاجتماعية كما يعكسها هذا النص المسرحي، ليتبلور التساؤل الرئيس للبحث فيما يلي: **كيف تجسدت ظاهرة التفكك الأسري في النص المسرحي العراقي المعاصر؟**

١. ٢ هدف البحث

التعرف على ظاهرة التفكك الأسري في النص المسرحي العراقي المعاصر.

١. ٣ اهمية البحث والحاجة اليه

تكتسب دراسة أهميتها من كون التفكك الأسري واحد من الموضوعات البحثية تأثيرًا في تشكيل البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع، إذ يرتبط بالأسرة والتي تعد هي الخلية الأولى للمجتمع، والمسؤول الأول عن تكوين الهوية وترسيخ القيم وصناعة الوعي الجمعي للفرد، وأي اختلالها في الأسرة لا يمثل مجرد أزمة داخلية تخص أفرادها، بل يمتد أثره ليطال استقرار المجتمع وتعامل أفراده مع محيطهم.

وتزداد أهمية هذا الموضوع في السياق الأدبي، ولا سيما في المسرح، لما للمسرح من قدرة على كشف الأعماق النفسية للشخصيات، وتمثيل الصراعات البشرية في أكثر صورها كثافة وتركيزًا، ومن ثم فإن تناول التفكك الأسري دراميًا يتيح إمكانية قراءة التحولات التي تصيب العلاقات الإنسانية، وتحليل انعكاس الضغوط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على الأفراد داخل بنية أسرية مضطربة، كما يُسهم هذا النوع من الدراسات في إبراز الدور الذي يلعبه الإبداع المسرحي في تشريح الظواهر الاجتماعية، مما يمنح البحث الحالي أهمية كبيرة لجمعه بين البعد الاجتماعي والأدبي في آن واحد.

١. ٤ حدود البحث

١. الحد المكاني: العراق.
٢. الحد الزماني: ٢٠١٩م.
٣. الحد الموضوعي: دراسة موضوع التفكك الأسري في النص المسرحي العراقي المعاصر.

١. ٥ تعريف المصطلحات

اصطلاحاً:

التفكك الأسري هو "انهيار الوحدة الأسرية وتحلل أو تمزق نسيج الأدوار الاجتماعية عندما يخفق فرد أو أكثر من أفرادها في القيام بالدور المناط به على النحو السليم".[١: ١٩]

"التفكك الأسري هو "انعدام المودة والألفة بين الإباء وأبنائهم وظهور الروح العدائية بينهم، وقد يؤدي الصراع بين الزوجين إلى تفكك الروابط الزوجية وبالتالي إلى الطلاق".[٢: ٢٥]

التعريف الاجرائي:

يمكن للباحثة الوقوف على تعريفًا اجرائيًا للتفكك الأسري فيما يلي" هي مجموعة من المظاهر التي تؤكد حالة الانشقاق وعدم الترابط بين افراد الأسرة، تؤدي إلى تخلي كل أفراد الأسرة أو أغلبهم عن القيام بأدوارهم المنوطين بها تجاه الأسرة، والتي بدورها يجب أن تدعم استقرار الأسرة".

٢.الإطار النظري

٢. ١ التفكك الأسري مفاهيمياً وفلسفياً

لا يمكن تصور وجود مجتمع إنساني دون انتظامه في إطار الأسرة، فهي تمثل النظام الاجتماعي الأكثر شمولاً وانتشارًا، ولا يكاد يخلو أي مجتمع من وجودها، فالأسرة هي الخلية الأولى في جسد المجتمع، وميدان لصقل القيم الإنسانية السامية وزراعة بذور السلوك السوي ومستقبل الإنسان، فهي مؤسسة في حد ذاتها تقوم على الروابط العاطفية، وتترسخ فيها معاني السكينة والدفء النفسي والاجتماعي.

بدأ مفهوم التفكك الأسري في الظهور كموضوع للدراسة والتحليل مع تطور علم الاجتماع والعلوم الإنسانية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، حيث بدأ الباحثون في ملاحظة تأثير التغيرات الاجتماعية والاقتصادية على بناء الأسرة ووظائفها، وقد جاء هذا المفهوم نتيجة لمحاولات تفسير المشكلات الاجتماعية الناتجة عن التحولات الكبرى، مثل الثورة الصناعية والهجرة إلى المدن والتغير في أنماط العمل والحياة.

أُطلق على التفكك الأسري في البداية مصطلحات متعددة مثل "الأسرة المحطمة" أو "العائلة المتداعية"، استنادًا إلى الترجمات الغربية لمفاهيم وتوسع استخدام هذا المصطلح تدريجيًا مع انتشار الدراسات التي تناولت أسبابه، مثل الطلاق، والهجر، ووفاة أحد الوالدين، وتأثيره على الأفراد والمجتمع، مما جعل التفكك الأسري موضوعًا مركزيًا في دراسات علم الاجتماع والعلوم النفسية.[٣: ٤٩٩-٥١٠]

بالرغم من الآراء الفلسفية والاجتماعية التي أحاطت بالأسرة الغربية وطبيعتها وحاولت في بعض الأحيان زحزحتها من مكانتها إلا أنها حاولت الحافظ على قوامها، متجاوزه بذلك العديد من التحديات المادية والمعنوية التي هدفت هدم الأسرة من أساسها.

إلا أن هذا الاستقرار النسبي لطبيعة لأسرة الغربية لم يتمكن من الوقوف أمام التغيرات الاجتماعية التي فرضتها الثورة الصناعية، والتي دفعت أغلب أعضاء الأسرة للتمرد على أدوارهم بغية المادة. فالثورة الصناعة أخرجت المرأة من بيتها وكذلك الأبناء لممارسة كافة المهن التي يمتهنها الرجال في ذلك الوقت، مما دفع الأسرة مع الوقت وبداعي الفقر إلى الاعتماد على الدخول المشتركة لأفراد العائلة.[٤: ١٣]

وتوالت هذه الانتكاسات على الأسرة الغربية حتى تحول من الاستقرار النسبي، إلى حافة التفكك في كل أركانها في الوقت المعاصر، الأمر الذي حذر منه العديد من الفلاسفة عبر العصور المتفاوتة، ومع ذلك يجدر الإشارة إلى أن الأراء الفلسفية الداعية إلى اراء تفككية للأسرة، بداعي دعم الحريات والثورة على التقاليد كانت موجودة كذلك على مر العصور.

كما أن "أرسطو" يصنف العلاقة بين أفراد الأسرة هي علاقة أشبه بعلاقة الصداقة، وذلك في كتابة "علم الأخلاق" موضع الفضائل، لما تقوم عليه هذه العلاقات من مودة واحترام متبادل، فالأسرة لديه تتأسس على نوعين من الصداقة (صداقة نفعية- صداقة عاطفية)، وإذا قامت العلاقات على نوعين الصداقة تلك أصبحت العلاقة أكثر متانة؛ من ثم تصبح الأسرة بذلك مدرسة للفضائل أكثر من كونها فضيلة في حد ذاتها، لما تتبناه من أوجه للعدل والانتماء والسعادة والصدق.[٤: ١٣]

بينما كان الفيلسوف الروماني "شيشرون" (١٠٦-٤٣ق.م) أن الأسرة ليست مجرد رباط بيولوجي طبيعي فقط، بل هي مؤسسة اجتماعية وسياسية يجب المحافظة عليها من الانهيار والتفكك، لأن وقوعها في أزمة الانهيار يعنى إضعاف قيم المجتمع ككل، مما ينتج عنه فساد الدولة، فالسبب الرئيس من وجهة نظرة في انحدار القيم الأخلاقية في روما القديمة، هي حالة التفكك التي عاشتها الاسر في ظل ضعف احترام العلاقات الاسرية داخل النظام الاجتماعي في ذلك الوقت عن ذي قبل.[٥: ٢٠-٥٥]

فالأسرة تحظي بنظرة مكترثة وتوضع في موضع الأولوية في العديد من الأمور المجتمعية، والتي تجعل من بعض المجتمعات تصل بمكانة الأسرة إلى حد التقديس؛ لذا قد يظن بعض المشككين في قوامة النظام الأسري أن ما تحصل عليه الأسرة من أهمية لا يصلح إلى العصور الحالية، بل يناسب على أقصى تقدير العصور الوسطى، بل أن في حقيقة الأمر فكرة الأسرة ودورها الاجتماعي مستمر طوال التاريخ. الأمر الذي أكد عليه فلاسفة أمثال "جان جاك روسو" حيث يؤمن "أن مجتمع الأسرة هو أقدم المجتمعات، بل هو المجتمع الطبيعي الجيد، وذلك نتيجة للارتباط الحادث بين الاباء والأبناء منذ ولادة الأبناء، وتنحل تلك العلاقة عندما يستقل الأبناء بأنفسهم في وقت معين من حياتهم".[٦: ٢٥]

فالأسرة لم تكن على مر التاريخ ذات أهمية فقط لكونها النظام الاجتماعي الأول الذي يتعرض له الإنسان، بل كانت تعد مثالًا يمكن حذوه لتحقيق النجاح من قبل العديد من المنظمات والهيئات المهنية. فنجد أن تشكيل النقابات بدايته كان قائمًا على نموذج الأسرة، فكان الهدف الرئيس لإنشاء النقابات هو حماية العمال من الأنظمة الارستقراطية من خلال التوحيد الجمعي لمصالحهم المهنية.[٧: ٧٩]

الأمر الذي أكد عليه الفلسفة المعاصرة كذلك، فنجد الفيلسوف لاسكتلندي "ماكنتاير" (١٩٢٩م) الذي حملت رؤيته عن الأسرة نقدًا شديدًا للفردية التي تدعو لها الليبرالية، مدافعًا عن الفضائل الأرسطية، فيشير إلى أن الأسرة هي المكان الذي يتعلم فيه الأفراد الفضائل الأساسية مثل الرعاية والمسؤولية. فالأسرة بالنسبة له هي جزء من شبكة من العلاقات التي تعزز الفضيلة والازدهار البشري.[٨: ٣٠١-٣١٠]

يعد التفكك الأسري من الموضوعات المثيرة للجدل في الفكر الفلسفي والمجتمعي، وغالبًا ما يركز الفلاسفة على أهمية الأسرة كركيزة أساسية للاستقرار الاجتماعي والنفسي، ولكن هناك بعض الفلاسفة الذين قد تكون آراؤهم فُهمت على أنها تؤيد أو تدعم فكرة التخلي عن البنى التقليدية للأسرة أو التخفيف من أهميتها، الأمر الذي قد يأتي في صورة نقد غير مباشر للأسرة وطبيعتها بل في إطار البحث عن الحرية.

فالأسرة في الثقافة الغربية قامت على أساس ديني منذ القدم، ليأتي فيما بعدها كلًا من المجتمع المدني والحكومات، فالدين كان هو الأساس التشريعي لدي المجتمع الغربي، لهذا كانت الأنظمة السياسية في المدينة البدائية أنظمة دينية.[٩: ٤١٦-٤٧٣]

إلا أن المجتمع الغربي منذ عصور بعيدة كان يحاول فك الارتباط بينه وبين الدين بصورة مباشرة أو غير مباشرة، سواء في أنظمة الحكم أو التشريعات والأعراف المسيطرة على المجتمع، والتي تشمل بالضرورة الأسرة وتكوينها القائم على السلطة الأبوية؛ لذا فكلما ابتعد المجتمع الغربي عن الدين- بداعي التحرر- كلما زاد التفكك الأسري دون أن يلقوا له بالا.

وعلى عكس ما قد يظن البعض أن الأفكار المناهضة لطبيعة الأسرة وتكوينها، والساعية إلى تفكيكها بهدف الحصول على الحرية كاملة، هي أفكار حديثة أو معاصرة، فإنه يجب الإشارة إلى أن تلك الأفكار في حقيقة الأمر قديمة بقدم الفلسفة، لكنها بطبيعة الحال تزايدت مع التقدم الزمني وصولًا إلى الوقت الحاضر.

فنجد "أفلاطون" (٤٢٧-٣٤٧ق.م) أول من ناقش بصورة فلسفية في كتابة "الجمهورية" الأسرة وأدوارها وأشكالها بصورة رئيسه، لكنه يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، ويقوم بعرض رؤية غير تقليدية ومثيرة للجدل حول الأسرة في المجتمع المثالي، وقد شملت تلك الرؤية على مجموعة من النقاط منها:[١٠: ٢٢٢- ٢٧٠]

-الابتعاد عن صورة الأسرة التقليدية: فهو يرى أن الأسرة بتكوينها التقليدي -كما نعرفها- يجب أن تُلغى في المدينة الفاضلة، والنساء والأطفال يجب أن يكونوا مشاركين فاعلين في طبقة الحكام والحراس، مما يعنى أنه لن يكون هناك روابط عائلية إطلاقًا بين الآباء والأبناء، والسبب في ذلك هو تجنب أي ولاء خاص للعائلة على حساب ولاء الفرد للدولة والمجتمع.

-الاعتماد على التربية المشتركة : الأطفال في تصوره يجب تربيتهم بشكل جماعي من قِبَل الدولة، بحيث لا يعرف الأطفال من هم آباؤهم البيولوجيون، ولن يعرف الآباء من هم أطفالهم، الهدف من ذلك هو ضمان المساواة والتربية السليمة لجميع الأطفال، بغض النظر عن أصلهم العائلي.

-تنظيم الزواج والإنجاب : فهو يقترح أن يتم تنظيم الزواج والإنجاب بشكل صارم من قبل الدولة، حيث يتم اختيار الأزواج بناءً على أفضل تطابق من الناحية البيولوجية لتحقيق أعلى مستوى من الجودة للأجيال القادمة، هذه العملية تشبه ما نسميه اليوم "التكاثر الانتقائي"، إذ يتم اختيار الأفراد الأكثر كفاءة جسديًا وفكريًا للإنجاب، دون عن غيرهم من الأفراد.

-المساواة بين الجنسين : فهو يؤكد على أهمية المساواة بين الرجال والنساء، فكلا الجنسين يجب أن يكون لهما نفس التعليم والتدريب، ويجب أن يلعبا أدوارًا متساوية في الدفاع عن المدينة وإدارتها، لأن النساء-حسب رأيه- قادرات على أداء نفس المهام التي يقوم بها الرجال.

فمن خلال هذه الأفكار يحاول أفلاطون خلق مجتمع موحد إلى حد التطرف في بعض من جوانبه، وبعيد عن ما تعانيه المجتمعات من انقسامات في الولاء بين الأسرة والمجتمع، ويكون الولاء الدائم هو للدولة المثالية التي ينشدها فقط، والذي بدروه ينتج عنه تحلل البنية الأسرية التقليدية.

بينما نجد أن "كارل ماركس"(١٨١٨-١٨٨٣م) قد انتقد البنية الأسرية التقليدية في إطار نقده للمجتمع الرأسمالي، حيث يرى أن الأسرة في المجتمع البرجوازي تؤدي دورًا خطيرًا في تعزيز الملكية الخاصة واستغلال المرأة والأطفال؛ لذا فالتحرر من البنى العائلية التقليدية يمكن أن تكون جزءًا من ثورة اجتماعية تؤدي إلى إزالة الملكية الخاصة وإنشاء مجتمع منصهر الطبقات، فالأسرة لدى لديه يجب أن تتخلى عن دعمها للنظام الرأسمالي.[١١: ٤٥-٦١]

وعلى ذات النحو نجد الناشطة والفيلسوفة "إيما جولدمان"(١٨٦٩-١٩٤٠م) انتقدت الزواج والأسرة التقليدية بصورة واضحة ومباشرة، وتعدها أدوات للقمع الاجتماعي والاقتصادي، خصوصًا تجاه النساء، حيث دعت إلى تفكيك النظام الأسري التقليدي كجزء من حركة أوسع لتحقيق الحرية الفردية والاجتماعية.[١١: ٣١٧]

ففي اعتقادها أن المرأة عندما تتبنى تلك الأفكار، سوف تصل إلى جوهر الحياة بكل تعقيداها، من خلال تحرير نفسها من الخوف من الرأي العام والإدانة العامة المستمرة في ذلك العصر، وبالتبعية سوف تساعد في قوة الأمم، من خلال الحب الصادق والسلام.

ومما سبق عرضه يمكن القول أن انتقاد فلاسفة الغرب على مر العصور للنظام الأسري والسعي لهدمه وتفكيكه، ليس بداعي الانتقام الفردي أو تحقيق المصالح الأحادية للأفراد في ظاهرة، إنما بهدف إصلاحي مجتمعي وتطوير للأنظمة الحاكمة، والسعي لإعطاء قدر أكبر من الحرية لمختلف أفراد الأسرة، مما يدفعهم لتقديم نماذج أكثر تحررًا من الصياغة الاسرية، ليتمكن كل أفرادها من تحقيق ذاتهم بعيدًا عن التعقيدات التقليدية المرتبطة بالصورة الاسرية السائدة.

وهوما يختلف عن رؤية الفلاسفة العرب، والذي تعكس رؤيتهم دور الأسرة الهام في بناء المجتمع وتربية الأجيال داخل المجتمعات العربية، فقد اعتبر الفلاسفة العرب الأسرة نواة المجتمع الأساسية على مر عصور المجتمعات العربية منذ نشأتها، فالدور الحيوي الذي تقوم به الأسرة في نقل القيم والأخلاق يعد محور اهتمام المجتمعات العربية ذات الميول المحافظة على تقاليدها الاجتماعية والإنسانية.

فنجد الفيلسوف الكبير "الفارابي"(٨٧٤-٩٥٠م) في تصوره للمجتمع المثالي أو المدينة الفاضلة، تناول الأسرة كونها جزء أساسي من المجتمع ولا بديل عنه، ومن الضروري الحفاظ عليه ودعمها للمحافظة على الإنسانية السوية التي تتناسب مع المجتمعات العربية والإسلامية.

فالأسرة هي الجزء الأساسي والأصغر من النظام الاجتماعي في المدينة الفاضلة، وهي الوحدة الأساسية الأولى التي منها تنبثق باقي مؤسسات المجتمع، حيث يتعلم منها الأفراد المبادئ الأساسية للتعاون والتضامن، وأن تنظيم الأسرة يؤثر بشكل مباشر على التنظيم الأكبر للدولة؛ من ثم يجب المحافظة عليها من الاضمحلال كونها تعد مكانًا للتربية وتطوير الفضائل لدى الفرد.[١٢: ٣٩- ٤٢]

بينما ذهب "ابن سينا"(٩٨٠-١٠٣٧م) إلى وضع مسئوليات واضحة على الأسرة من شأنها أن تهتم بها وتحافظ عليها تتمثل في:[١٣: ٣٨-٤٥]

• تربية الأجيال: فالأسرة بالنسبة له هي المسؤولة عن تنشئة الأطفال وتوجيههم نحو القيم الأخلاقية والفضائل.

• العلاقات الأسرية: العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة تعد عامل اساسي في تحقيق الاستقرار النفسي والعاطفي للفرد.

• المسؤولية الاجتماعية: لأن الأسرة بالنسبة له هي أساس المجتمع؛ لذا فإن الأسرة القوية تسهم في بناء مجتمع صحي ومتوازن.

فالقيم الأخلاقية والعلاقات الاجتماعية تقوم على الأسرة بصورة أساسية. الأمر الذي يتفق عليه بطبيعة الحال "ابن رشد"(١١٢٦-١١٩٨م) والذي يؤكد على دور الأسرة في تشكيل الهوية الثقافية والدينية للفرد؛ مما يساعد بالضرورة في بناء مجتمعات عربية مستقرة، من الناحية الاجتماعية والدينية، فيرى أن "عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها يقوم على القلة القائمين عليها منذ البداية".[١٤: ٢٩٣]

ويعد "محمد عابد الجابري"(١٩٣٥-٢٠١٠م) من الفلاسفة العرب المعاصرين الذين تناولوا الأسرة ضمن محاورهم الفكرية والبحثية، حيث سعى إلى تفكيك البنى الفكرية والثقافية التي تؤثر على المجتمعات العربية، ومن خلال هذه التحليلات توصل إلى العلاقات الاجتماعية بما في ذلك الأسرة في تشكيل الأنساق الفكرية والثقافية، وينظر إلى المجتمع كوحدة متكاملة، وتلعب الأسرة دورًا محوريًا في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للأفراد، مما يسهم في تشكيل العقل العربي.[١٥: ٦٩-٨٠]

وبصورة عامة يرى أغلب الفلاسفة العرب على مر العصور أن الأسرة تعتبر مكانًا لتعليم الفرد مبادئ التعاون والتعاطف، مما يسهم في تشكيل الهوية الثقافية والدينية للفرد، كما أكد الفلاسفة على أهمية العلاقات الأسرية في تعزيز الاستقرار النفسي والاجتماعي، من خلال توفر الأمان والدعم لأفرادها، بالتالي فإن الأسرة العربية تعد كيان مركزي في الحياة الإنسانية، يساهم في تحقيق التوازن بين الفرد والمجتمع.

وإذا ما نظرنا إلى الأسرة في الفكر الفلسفي العربي والغربي، لوجدنا حجم اتفاق كبير بين العديد من الفلاسفة العرب والغرب حول أهمية الأسرة ومركزها الجوهري في المجتمع، ودورها في التنشئة الاجتماعية للفرد، ووضعه في وضع السواء الاجتماعي، بينما نلحظ تجاوز عدد ليس بالقليل من الفلاسفة الغرب لفكرة الأسرة والسعي وراء صالح المجتمع من خلال تفكيك الأسرة، سواء بالدعوة إلى ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

و تتعدد المسببات التي تؤدي إلى التفكك الأسري، فقد ترجع المسببات إلى عوامل شخصية، أو اجتماعية أو ثقافية أو نفسية وغيرها، وفي أغلب الأحوال لا يكون المسبب بناء على عامل واحد فقط من الأسباب، بل يكون معتمدًا على عدة عوامل متشابكه مع بعضها البعض، وفيما يلى سوف يتم رصد أكثر العوامل المسببة للتفكك الأسري:

أولًا : العوامل الاجتماعية

ترتكز تلك العوامل على حجم العلاقات بين الأفراد داخل الأسرة، والعلاقات التي تجمع أفراد الأسرة بأخرين من خارج الأسرة، وطبيعة القيم والمبادئ التي تتبناها أفراد الأسرة مجتمعين ومنفردين كذلك. فالعوامل الاجتماعية هي سلسلة التفاعلات داخل وخارج بيئة الأسرة في ظل الظروف المحيطة التي يعيش بها الزوجين.[١٦: ٢٢٩] كما أوضحت بعض الدراسات أن العوامل الاجتماعية لها النصيب الأكبر في حدوث

التفكك الأسري، ويرجع ذلك إلى أهمية النظام الاجتماعي الذي ينمو فيه النشأ، فقد يرجع ذلك إلى ضعف اشباع الحاجات الاجتماعية من احترام ومحبة وتقبل، مما يؤدي إلى حدوث خلل ينتج عنه تفكك اسري.[١٧: ٢٣٩] ويمكن ابراز أهم تلك العوامل الاجتماعية فيما يلى:

١- صراع الأدوار داخل الأسرة
٢- الثورة التكنولوجية
٣- الأمراض والعاهات الخطيرة
٤- تعدد الزوجات

ثانيًا: العوامل الاقتصادية

تعد العوامل الاقتصادية من المهددات لكيان الأسرة واستقرارها، خاصة في المجتمعات الصناعية الكبرى التي نشأت وتطورت بعد الثورة الصناعية والتوجهات الرأسمالية العالمية. لذا يتضح أن التصنيع والتسابق التكنولوجي والاقتصادي من أكثر مسببات دفع الاسرة إلى التفكك، وذلك نتيجة لشدة تيارات التحول الاجتماعي الذي يركز على عنصر المنافسة بين الرجل والمرأة داخل الأسرة الواحدة، وسعي كل من الأثنان إلى الاستقلال المادي، والتخلي عن التبعية للآخر.[١٨: ٧] وتأتي خطورة العوامل الاقتصادية ودورها في إحداث تفكك اسري عند تضائلها أو حدوث تغيرات مفاجأة على الأسرة من الناحية الاقتصادية، خاصة لأن تلك العوامل تلامس الاحتياجات الأساسية للفرد مثل الحاجة للطعام والمسكن والملابس، ويمكن ابراز أهم تلك العوامل الاقتصادية فيما يلى:

١- الفقر
٢- البطالة
٣- التفكك الاجتماعي

ثالثًا: العوامل النفسية

قد تكون العوامل النفسية أقل مسببات التفكك الأسري، لكنها تظل الأخطر لما ينتج عنها من وصمات نفسية تطبع في نفس أفراد الأسرة جميعًا. فالعوامل النفسية نتاج مجموعة من التفاعلات القائمة بين الزوجين والتي تتم من خلال إدراكهم لبعضهم البعض، وتعتمد بالضرورة على كفاءة الاتصال بينهم ومقدار قدرتهم على التقبل وسرعة الاستجابة فيما بينهم.[١٩: ٢٢٨] وتتعدد العوامل النفسية التي تؤثر على الأسرة ويمكن عرضها فيما يلى :

١- فتور العاطفة
٢- الضغوط الحياتية
٣- فقدان الثقة والغيرة المفرطة

٤- عمل المرأة

فعندما تتفكك الأسرة يفقد الفرد البيئة الداعمة والأمان العاطفي الذي توفره الأسرة، مما يجعله عرضة لمشكلات نفسية واجتماعية عديدة، كالعزلة والانحراف وضعف الثقة بالنفس، هذا التأثير لا يقتصر على الفرد فقط، بل يمتد ليطال المجتمع بأكمله، حيث يتزايد خطر السلوكيات السلبية مثل العنف والجريمة وضعف القيم الاجتماعية؛ لذا فإن تماسك الأسرة واستقرارها يعد أساسًا لبناء مجتمع سليم ومتماسك، وفيما يلى سوف نرصد أبرز الأثار الناجمة عن حدوث مشكلة التفكك الأسري.

١- تأثير التفكك الأسري على الزوجين
٢- تأثير التفكك الأسري على الأبناء
٣- تأثير التفكك الأسري على الدائرة العائلية الواسعة

لذا يمكن اعتبار التفكك الأسري آفة اجتماعية ولا يمكن حصرها في حدود الأسرة الصغيرة فقط، لأن آثرها ممتد للمجتمع ككل، وممتد على عصور طويلة، نتيجة لتأثر الأجيال المتعاقبة بالمشكلات النفسية الناجمة عما حدث من تفكك، ليصبح التفكك الأسري بذلك مؤثر على الثقافة العامة في المجتمع، نتيجة لإنتاجه أفراد محبطون لا يستطيعون حمل قيم مجتمعهم وثقافتهم، وأصحاب نظرة قاتمة تجاه الحياة، فتصبح أي جهود تنموية يقوم بها المجتمع غير كافية، دون حل مشكلة التفكك الأسري من جذورها.

٢. ٢ التفكك الأسري في النص المسرحي العالمي

التفكك الأسري هو ظاهرة اجتماعية تؤثر بشكل واضح وملحوظ على الأفراد والمجتمعات، فيتجلى التفكك في انهيار العلاقات الأسرية، وفقدان التواصل بين أفراد الأسرة، سواء على مستوى الأزواج أو الأبناء والآباء أو الأبناء أو باقي أفراد الأسرة، مما يترتب عليه آثار نفسية واجتماعية سلبية عديدة، تؤثر في حاضر أفراد الأسرة ومستقبلهم، وكغيرها من الظواهر الاجتماعية التي رصدها فن المسرح، تناولت العديد من النصوص المسرحية العالمية هذه الظاهرة بمعالجات مختلفة، ومن أوجه نظر متباينة تبعًا للمذاهب الفنية والحقب الزمنية المتعاقبة، مسلطة الضوء على مظاهر التفكك المختلفة وأبرز عوامل حدوثه، محاولة -في بعض الأحيان- تقديم حلول فعلية لتلك الظاهرة من خلال رؤى نقدية، أو تتوقف عند حد الرصد والوصف.

فتتميز نصوص المسرح العالمي -بصورة عامة- بكونها قادرة على رصد ظاهرة التفكك الأسري، وبلورتها في صورة درامية في إطار الثقافة الغربية؛ من ثم تتسم تلك المعالجة في أغلبها بصفة الجرأة، والطرح المباشر لبعض الأزمات الاجتماعية والنفسية، والتي تصنف كونها مشكلة عالمية، في المجتمعات الشرقية والغربية.

فنجد نص "السبعة ضد طيبة" لـ"أيسخولوس" لا تعد فقط تعبيرًا عن حرب سياسية للحصول على السلطة، بل تطرح قيم مهمة من خلال الصراع الحادث، بين واجب الدفاع عن الوطن في مقابل نزاعات السلطة،

والاستسلام إلى القدر الذي يطرحه الكاتب في أجواء من القلق، فيبرز التفكك الأسري في نص "السبعة ضد طيبة" ليس فقط في حالة الحرب بين الأخوين الشقيقان "إتيوكليس" و"بولينيسيس"، بل من خلفيتهم الأسرية، والتي ظهرت من بداية المسرحية في مناجاة "إتيوكليس" لـ "زوس".

بينما انطوى نص "أنتيجونا" لـ"سوفوكليس" على العديد العلاقات التي أُصيبت بالتفكك الأسري، والذي ظهر من خلال سرد الشخصيات لماضيهم، فنجد "أنتيجونا" منذ المشهد الافتتاحي، تعرض حجم التعاسة الذي وُرِثَ لها والناتج عن أسرتها المفككة، بسبب خطايا أبيهما "أويديبوس"، والتي تسببت في تشتت عائلتها وفقدانها السلطة، بفعل صراع الأخوة، وصولًا إلى مقتلهما.

في حين أظهر نص "إلكترا" يُظهر تفككًا أسريًا على منبعث من ماضي الشخصيات، وهو ما يؤثر بالضرورة على الحدث الدرامي الآني للمسرحية، فأسرة "أجاممنون" عانت من التفكك الناتج من عدة أسباب، أهمها محاولة الأم الثائر لموت ابنتها "إيفيجينيا"، والتي ضحى بها أبيها قربانًا للإلهة "أرتميس" حتى تهب الرياح لأسطوله المتجه إلى طروادة، بالإضافة إلى أن غياب الزوج عن زوجته "كليتمنسترا" دفعها للشعور بالفقدان العاطفي، مما جعلها فرسية سهلة بالنسبة لـ"إيجستوس"، الذي كان يحاول الانقضاض على السلطة في غياب "أجاممنون".

كما تتضح شخصية "فايدرا" في نص "فايدرا" لـ"سينيكا" كعامل رئيس للتفكك والذي أخذ بعدين: بعدًا أسطوريًا، حيث كانت "فايدرا" واقعة تحت وطأة اللعنة الإلهة لـ"أفروديت" إلهة الحب، التي سعت إلى الانتقام من "هيبوليتوس" لرفضه النساء، هو ما جعل حب "فايدرا" لابن زوجها أشبه بالقوة القدرية، التي فرضت عليها، لا كخيانة واعية تمامًا.

وتغلغل التفكك الأسري في نص "الملك لير" لـ"شكسبير" منذ البداية، فالأب يعاني من أزمة "الذات العجوز"، والذي يبحث عن تأكيد للحب، بالإضافة إلى معاناته من النرجسية التي جعلته يغضب من صراحة ابنته الصغرى "كورديليا"، ويتقبل ما تصدره كل من "ريجان" و "جونريل" من حب مزيف، وتملق لتحقيق مكاسبهما السلطوية، الأمر الذي دفعه إلى تقسيم ملكه على بناته.

كما أبرز "راسين" مأساة "أندروماك" عددًا من مظاهر التفكك الأسري، فكانت أسرة "أندروماك" في أساسها أسرة مفككة، وذلك بداعي مقتل الزوج في الأساس، إلا أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد، بل امتد ليشمل تهديد حالة الترابط بين الأم وابنها، كونه وريثًا للثأر.

وقد جسدت أسرة "ألفينج" في نص مسرحية "الأشباح" للكاتب "إبسن" ملامح التفكك بصورة واضحة خلال أحداث المسرحية، وعلى أكثر من مستوى، إلا أن التفكك الحادث داخل الأسرة نتج بصورة واضحة عن تفكك العلاقة بين الزوج "الفينج" والزوجة "مسز الفينج"، والذين عانوا من تفككٍ على المستوى النفسي.

بينما جاء نص "الأب" للكاتب " سترندربرج" بملامح واضحة لقضية التفكك الأسري في المجتمع الغربي، فلا تبتعد أحداث المسرحية كثيرًا عن نقطة الانطلاق حتى نلمح مظاهر التفكك الحادث في أسرة الضابط، بين كل من الضابط وزوجته "لورا"، إلا أن ملامح التفكك لا تظهر منذ البداية بحجم كبير، بل تظهر في مرحلة

الكمون الملحوظ في حالة الغضب المكتوب في حديث "الضابط" مع القس، والذي يعد في نفس الوقت هو أخ زوجته.

في حين يرمي "سارتر" في نص "الذباب" ليس تفككًا على مستوى أسرة الملك المقتول، بل تفككًا على مستوى المجتمع بأكمله، والذي جُسد بالذباب الذي ينتشر كرمز لعذاب الضمير، فالذباب هو رمز للجريمة العائلية، والتي كانت المسبب الرئيس في حالة التفكك الذي حلت على الأسرة، كما أن الذباب يمكن أن يرمز إلى حالة التعفن والتحلل الذي أصاب الأسرة والمجتمع ككل، فالقيم العائلية تحللت في المدينة، مثلما تتحلل الجثث، فامتلاء الأجواء بالذباب يعلن أن الأسرة لم تعد كيانًا واحدًا بل جثة متحللة تحاصره الحشرات.

ويطرح نص "دائرة الطباشير القوقازية" لـ"برشت" ملامح التفكك الأسري داخل الأسرة الحاكمة، فتقوم فيها العلاقة بين الزوج والزوجة على المبادئ الرسمية الباردة، فالعلاقة قائمة على المنفعة المتبادلة والهيبة الاجتماعية أكثر من كونها علاقة زوجية عاطفية، وهو ما جعل الأم لا تهتم بشيء بقدر اهتمامها بما تقتنيه من ملابس ومجوهرات.

بينما إذا ما حاولنا رصد ظاهرة التفكك الأسري في نص مسرحية "النورس" للكاتب الروسي "أنطوان تشيخوف" للاحظنا أبعاد مختلفة للتفكك، والذي يعبر بالضرورة عن معاناتهُ وتجربته الطبية والاجتماعية مما منح أعماله صدقًا إنسانيًا، وعُمقًا واقعيًا جعلها من علامات الأدب العالمي، فظهر التفكك الأسري في نص المسرحية " في عدة علاقات، فترصد الباحثة ظهور حالة التفكك الأسري بين الأم "أركادينا" وابنها "تريبليف" بداية من مرحلة انتشار النزاع فيما بينهم، فالابن الذي يطمح فنيًا في أن يكون كاتبًا مسرحيًا مرموقًا غير تقليديًا، يوجه دائمًا بآراء أمه الصادمة به، وملامح للعنف الرمزي من قبلها تتمثل في محاولتها الدائمة في التبخيس له.

كذلك عمد "أونيل" إلى طرح أزمة التفكك الأسري في نصوصه المسرحية من خلال نص "رحلة النهار الطويل خلال الليل"، الذي يمكن ملاحظة ظاهرة التفكك الأسري الناتجة عن سلسلة من التعقيدات الأسرية، حيث يتعرض نص المسرحية للعديد من القضايا الاجتماعية مثل الإدمان والأمراض النفسية والمزمنة، فعلى مدار يوم واحد داخل منزل صيفي لعائلة "تايرون"، يُظهر الكاتب حجم المعاناة التي يقاسيها أفراد الأسرة، الذين يعانون من مشكلات نفسية واجتماعية، والتي تتمحور حول مشكلة إدمان الأم في الماضي، وجني آثار هذا الإدمان في الحاضر، بجانب مرض الابن الأصغر "إدموند" بالسل.

ويمكن رصد مشكلة التفكك الأسري بصورة جلية من خلال نص "الإسكافية العجيبة" لـ"لوركا"، من خلال الحبكة الدرامية البسيطة في نص مسرحية "الإسكافية العجيبة"، فكان المجتمع المحيط المتجسد في السلطة والجيران في نص "الإسكافية العجيبة" هم العامل الرئيس في حالة التفكك التي ظهرت في العلاقة الزوجية بين الإسكافي وزوجته، وحاول المؤلف التأكيد على رمزية "البيت المخترق" من خلال التصور الموضوع في الإرشادات المسرحية الخارجية الموجودة في بداية النص.

في حين يمكن رصد ظاهرة التفكك الأسري في إطار سيطرة المادة على المجتمع في نص مسرحية "موت بائع متجول" لـ"آرثر ميلر"، حيث تعني هذه المسرحية بالتفكك الأسري في المجتمع الأمريكي الناتج عن

العوامل الاقتصادية في الثلاثينيات، وقد صور لنا الكاتب علاقة رب الأسرة بأبنائه وزوجته، ومسؤولية الرجل الاجتماعية بالعائلة، وذلك من خلال الصراع بين الأب والابن، في إطار من العزلة والفساد والانحلال الأخلاقي، فغياب الترابط والألفة بين الأب والأبن وعدم الانسجام، ولد حالة من الإحباط داخل العائلة.

وكنتيجة لما يمكن رصده من تقاطعات في نص "لير" للكاتب "إدوارد بوند" بُنيت عليه الدراما المعدّة من قبل "بوند" هي حالة التفكك المجتمع والأسري الناجمة عن سيطرة الفردانية، والتي تبلورت من خلال العنف والقسوة المبالغ فيهما؛ لذا ظهرت حالة التفكك منذ البداية في مرحلة انتشار النزاع، متجاوزة كل من مرحلة الكمون والصدام، فالكاتب تعمد منذ البداية إظهار حالة الانشقاق الفكري والاجتماعي والعاطفي بين الطرفين.

ويمكن ملاحظة حجم التفكك الأسري الخفي منذ بداية الأحداث في نص " المدنسة" لـ"بيناينتي"، والناتج عن العلاقة المُعقدة والمأسوية التي تربط الشخصيات الرئيسة الثلاثة داخل أسرة صغيرة تحيا في ريف إسبانيا، فقد تغلغلت عوامل التفكك الأسري في نص مسرحية "المدنسة" من الجانب النفسي، وعلى محورين مختلفين، تمثل المحور الأول في علاقة "أكاثيا" بـ"رايموندا"، فالابنة التي حُملت كرهًا –في بادئ– الأمر– على التعامل مع زوج أمها على أنه أبيها، أصبحت فاقدة للثقة في الأم، ولم تعد تنظر للأم على أنها مصدر حماية لها، إنما تتعامل معها كونها مصدر تهديد لها.

ومن ثم يمكن للباحثة أن ترصد تعدد العوامل النفسية والاجتماعية التي اتضحت في النصوص التي سبق تناولها بالشرح والتحليل، فكان القدر لاعبًا رئيسًا في التفكك الأسري الظاهر في النصوص الإغريقية والرومانية، إلا أن ذلك لم يجعل تلك النصوص خالية من النوازع الإنسانية والتي كانت سببًا مباشرًا وداعمًا لفرضية القدر المسيطرة على النص المسرحي الكلاسيكي، فكان الصراع على السلطة والسعي وراء المادة سببًا مباشرًا في نص "السبعة ضد طيبة" و"الملك لير" و"أنتيجونا" و"دائرة الطباشير القوقازية"، بينما كانت الخيانة والرغبة في الانتقام محركين أساسيين في سير أسرة "أجاممنون" نحو التمزق الكامل في نص "إلكترا" لـ"يوربيديس"، ونص "الذباب" لـ"سرتر"، في حين كانت الغيرة عامل رئيسًا في نص "فيدرا" لـ"سينيكا"، و"اندروماك" لـ"راسين"

من ثم يمكن القول إن الاطلاع على النص المسرحي العالمي، ساعد في إدراك أبعاد ظاهرة التفكك الأسري بصورة أفضل، خاصة وأن حالة التفكك الأسري تتباين بتباين المجتمعات الصغيرة، ومن ثم تظهر في منتجاتهم الثقافية تلك، كما يمكن ملاحظة أن بعض تلك النصوص العالمية، توقفت عند حد رصد وتصوير الظاهرة، بينما ذهب بعض آخر من النصوص إلى رصد وتحليل لتلك الظاهرة، ومحاولة معالجتها بصورة درامية مناسبة، مثلما نجد في نص "دائرة الطباشير القوقازية"، و"لير"، و "موت بائع متجول"، و"الإسكافيه العجيبة".

٢. ٣ الدراسات السابقة

أولًا : دراسة بوداري (٢٠١٧م)

بعنوان (دور التفكك الأسري في تعاطي الشباب للمخدرات دراسة ميدانية)

سعت تلك الدراسة إلى التعرف على التفكك الأسري باعتباره مشكلة تُهدد المجتمع وتدمر الشباب وتدفعه إلى الهلاك، والتعرف على الجوانب النفسية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية للمشكلة بغرض التعرف على نواحي القصور ومحاولة التغلب عليها، معتمدة في ذلك على المنهج الوصفي، على عينة قوامها ٣٠ من الطلاب الجامعيين وغير الجامعيين بأعمار مختلفة، معتمدة على أداة الأستبيان، وتوصلت إلى عدة نتائج جاء أبرزها: أن التفكك الأسري يعد سببًا رئيسًا في التربية القاصرة، والحرمان العاطفي، وهو ما يمكن اعتبارهم عاملًا رئيسًا في تعاطي الشباب المخدرات.

ثانيًا: دراسة سجا زكريا عبد المحمود (٢٠١٨م)

بعنوان (التفكك الأسري وارتكاب المرأة للجريمة من منظور الخدمة الاجتماعية:دراسة ميدانية: مزيلات دار التائبات– أم درمان)

سعت هذه الدراسة إلى التعرف على العوامل التي تؤدي إلى التفكك الأسري، والذي بدوره يؤدي إلى ارتكاب المرأة للجريمة، في محاولة لطرح أبرز سبل الوقاية من تلك الجرائم ومكافة انتشارها، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لوصف وتحليل ظاهرة التفكك الأسري، وتمثلت عينة الدراسة في عدد ٦٠ نزيلة داخل دار التائبات في مدينة أم درمان، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج كان ابرزها: أن ٧٠٪ من أفراد العينة واجهنا مشكلات عائلية قبل دخولهن السجن، كما أكدت الدراسة أن غياب الوالدين في أسر أفراد العينة كان له أثر سلبي على حياتهن، ومرتبط بصورة مباشرة بإقبالهن على الجريمة.

ثالثًا: دراسة الكمالي (٢٠١٩م)

بعنوان (التفكك الأسري وعلاقته بجنوح الأحداث في اليمن)

استهدفت تلك الدراسة التعرف على أنماط التفكك الأسري، وكشف العوامل التي أدت إلى بروز الظاهرة وانتشارها في المجتمع اليمني، ومحاولة رصد العلاقة بين التفكك الأسري وجنوح الأحداث، معتمدة في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي، متوصلة إلى مجموعة من النتائج كان أهمها: أن التحولات التي طرأت على المجتمع قد أثرت في عملية التنشئة الاجتماعية، كما أن التفكك الأسري يؤدي في بعض الأحيان إلى تهيئة الظروف لجنوح أفراد الأسرة وخصوصًا الأبناء، كما أكدت الدراسة على أن التفكك الأسري له دور كبير في شعور الأفراد بعدم الأمان الاجتماعي وضعف القدرة على مواجهة المشكلات، وتحولهم للبحث عن أيسر الطرق للوصول للهدف، كما يؤدي التفكك الأسري إلى إهمال الوالدين وسوء معاملتهم للأبناء الأمر الذي تفقد فيه الأسرة الأسلوب الصحيح في الرعاية الوالدية في عملية التنشئة ويجعلهم عاجزين عن الرقابة والتوجيه إلى السلوك السليم .

رابعًا: دراسة الهواري (٢٠٢٠م)

بعنوان (العوامل المؤدية إلى التفكك الأسري وانحراف الأحداث في المجتمع الأردني)

استهدفت الدراسة التعرف على العوامل المؤدية إلى التفكك الأسري وانحراف الأحداث في المجتمع الأردني، معتمدة في ذلك على المنهج الوصفي المسحي، وتكونت العينة من (٢٢٠) حدثًا من نزلاء مراكز رعاية

الأحداث في الأردن، وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج كان أهمها: أن التربية الخاطئة لأحد الزوجين أو كلاهما، وتقصير الرجل في القيام بواجباته من العوامل الاجتماعية للتفكك الأسري، كما أن البطالة وخروج المرأة للعمل تعد من العوامل الاقتصادية للتفكك الأسري، بينما اعتياد الكذب في العلاقة بين الوالدين والأبناء، ووجود إعاقة في الأسرة تعتبر من العوامل الصحية للتفكك.

خامسًا: دراسة صفية البدري صابر أمين(٢٠٢١م)

بعنوان (التفكك الأسري للمهاجرين الإيرانيين في أوروبا دراسة تحليلية لرواية "سالهاي شكسته: سنوات بالية" للكاتبة الإيرانية روح انكيز شريفيان)

سعت هذه الدراسة إلى استبطان ظاهرة من الظواهر وثيقة الصلة بالهجرة، والتي برزت في جنس أدبي وهو الوراية بوصفه نتاج نشاط إنساني تفاعلي، وتتمثل في قضية التفكك الأسري لدى المهاجرين الإيرانيين في أوروبا، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وتمثلت عينة الدراسة في رواية "سالهاي شكسته: سنوات بالية" للكاتبة الإيرانية المعاصرة "روح انكيز شريفيان" والتي وقعت أحداثها عقب الثورة الإيرانية عام (١٩٨٠-١٩٨٧م)، وقد توصلت الدراسة إلى أن بطلة الرواية كانت تعاني بصورة واضحة من التفكك الأسري الذي لحق بأسرتها بعد عشرون عامًا من الترابط، كما رصدت الدراسة نجاح الكاتبة في طرح قضية التفكك الأسري للمهاجرين الإيرانيين في روايتها من خلال سردها بأسلوب شيق وسلس.

٢. ٤ المؤشرات التي اسفر عنها الاطار النظري

١- التفكك الأسري ظاهرة عالمية متشابكة مع عوامل اجتماعية، واقتصادية ونفسية وثقافية.

٢- الفلاسفة الغربيون انقسموا بين داعمين لبقاء الأسرة ككيان أساسي، ومنادين بإعادة تعريفها أو تفكيكها بداعي الحرية والمساواة.

٣- الفكر العربي والإسلامي الفلسفي ركز على حماية الأسرة باعتبارها ركيزة أخلاقية وثقافية.

٤- الفارق بين الغرب والعرب في الموقف من الأسرة يعود جزئيًا إلى غياب أو حضور البعد الديني في المنظومة الاجتماعية.

٥- يمكن أن يكون التفكك الأسري نفسيًا أو اجتماعيًا بحسب طبيعة الانفصال.

٦- آثار التفكك الأسري على الأبناء تتمثل في (ضعف التحصيل الدراسي، اضطراب النمو الانفعالي، الميل للانحراف أو السلوك العدواني).

٧- آثار التفكك الأسري على المجتمع تتمثل في (تزايد معدلات الجريمة والبطالة، ضعف التماسك الاجتماعي، إنتاج أجيال محبطة).

٨- المسرح يوظّف موضوع التفكك الأسري كأداة فنية واجتماعية لعرض المشكلات ومعالجتها، من خلال شخصيات درامية تعكس الصراعات الداخلية والانفعالات.

٩- المسرح الواقعي برز كوسيلة لعرض مشاكل الطبقة المتوسطة والأسر المفككة، مركّزًا على البعد الإنساني والاجتماعي للشخصيات.

١٠- الهوية الدرامية للشخصية هي انعكاس مباشر للتجارب الحياتية، والممثل يوظّف لغة الجسد والحوار لتجسيد الصراعات النفسية والاجتماعية بواقعية.

١١- المسرح العالمي تناول التفكك الأسري بجرأة، عارضًا أسبابها ونتائجها ومحاولًا أحيانًا تقديم حلول.

١٢- اختلفت المعالجات الدرامية للنصوص المسرحية العالمية المناقشة للتفكك الأسري باختلاف الأيديولوجيات والثقافات.

١٣- كثيرًا ما حملت نهايات نصوص المسرح العالمي أحداث مأسوية، لتؤكد على صعوبة إصلاح التفكك الأسري، خاصة في حالة بلوغه مرحلة متقدمة، ولعكس فرضية أن تفكك الأسري، والتمزق المجتمعي وجهان لعملة واحدة.

مؤشرات الإطار النظري :

١. المجتمع، والبعض الأخر يدعو إلى تفكيكها بحجة البحث عن الحرية الكاملة، والمساواة في الحقوق.
٢. المسرح الواقعي برز كوسيلة لعرض مشاكل الطبقة المتوسطة والأسر المفككة، مركّزًا على البعد الإنساني والاجتماعي للشخصيات.
٣. لم تسع كل نصوص المسرح العالمي إلى طرح التفكك الأسري بتتابعه المرحلي النمطي، بينما طرحت بعض النصوص العالمية مرحلة واحدة فقط، ولم تخرج عنها من التفكك الأسري.
٤. طرحت النصوص العالمية آثار التفكك النفسية والاجتماعية في صورة (تدمير للثقة بين الأفراد، وسيطرت مشاعر الغضب والحقد عليهم، والانعزال الاجتماعي والانخراط في سلوكيات الإدمان).

٣. اجراءات البحث

٣. ١ مجتمع البحث

تألف مجتمع البحث الحالي من نصوص مسرحية عراقية والتي بلغ عددها (٥) نصاً مسرحياً منشوراً في الفترة من (٢٠١٣ – ٢٠٢٤م) كما مبين أدناه:

ت	اسم النص المسرحي	المؤلف	البلد	السنة
١-	مساء الورد	محمود أبو العباس	العراق	٢٠١٣م
٢-	الجنة	فلاح شاكر	العراق	٢٠١٥م
٣-	شرف العائلة	مثال غازي	العراق	٢٠١٩م
٤-	قمامة	على عبد النبي الزيدي	العراق	٢٠٢٠م

٥-	الجدار	حيدر جمعة	العراق	٢٠٢٤م

٣. ٢ عينة البحث

شملت عينة البحث نص مسرحية (شرف العائلة) والتي تم انتقاؤها بشكل قصدي وفقا للمسوغات الاتية:

١- تمثل هذه العينة مجتمع البحث وتنسجم مع هدف البحث.
٢- موثقة في كتاب وتسنى للباحث قراءتها وقدمت لأكثر من عرض.
٣- كتب عن النص مقالات نقدية أخذت حيزاً في الصحف والمجلات.

٣. ٣ منهج البحث:

انتهجت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في تحليل عينة البحث.

٣. ٤ اداة البحث:

استندت الباحثة على مؤشرات الإطار النظري كأداة لتحليل العينة.

٣. ٤ تحليل نموذج العينة:

مسرحية (شرف العائلة)

تأليف مثال غازي* ٢٠١٩م

فكرة المسرحية:

يمكن تصنيف نص "شرف العائلة" للكاتب " لـ"مثال غازي"، نصًا مأسويًا يحاول أن يفكك مفهوم الشرف المتعارف عليه في المجتمعات العربية، والذي يحول الشرف إلى أداة قمعية في يد السلطة المجتمعية، فتتوارى خلفها الأزمات والتعقيدات التي تتزاحم داخل نفسية الأفراد كافة، حتى من منهم يمارس القمع على الآخرين، حيث يدور النص داخل في إطار تشويقي حول جريمة قتل ارتكبت من قبل شخصية "إسماعيل" وهو الأخ الأكبر في العائلة، بحق زوجة أخيه "حليمة"، وذلك بدافع الانتقام لشرف الأسرة التي لوثته زوجة "حليمة"، وبوصفه منذ البداية كحدث بطولي من قبل كافة الشخصيات.

إلا أن الأحداث لا تلبث في التقدم لتتكشف العديد من موطن الضعف، والخلل في العلاقات التي تجمع كافة شخصيات النص، لتصبح العائلة المتماسكة في ظاهرها، صورة مصغرة لمجتمع سقيم، إذ تظهر شخصياته متكاتفة، لكنهم في عمق شخوصهم يعانون من الصراع النفسي، والصراع فيما بينهم، لتكشف الأسرة عن أكبر سقطاتها والمتمثلة في شخصية "ليلى" والتي عبرت عن الانهيار الأخلاقي التي تعاني منه الأسرة والمجتمع ككل، والذي يحاول دائمًا أفراد المجتمع التستر عليه، حيث حاولت "الأم" -والتي تمثل السلطة داخل الأسرة- الحفاظ على سيرة الابنة من خلال الإذلال في سيرة "حليمة"، وما كانت تملكه من أنوثة وبراءة، داعية أن "حليمة" هي مصدر الفساد والفتنة في الأسرة، في محاولة لنقل الصورة المجتمعية الرائجة في المجتمعات

العربية، الذي يختزل الشرف في الجسد فقط، ويرى العفة في ظاهر الشخصيات دون النظري إلى حقيقتهم الداخلية.

لتقلب الحقائق في أحداث المسرحية مع الكشف عن هوية "الغريب"، والذي اتهمت "حليمة" بخيانة زوجها "حامد" معه منذ بداية الأحدث، ليكشف لنا الكاتب عن حقيقة المجتمع الزائفة، مدعي الأخلاق الحميدة، بينما يتجاهل حقيقته وما لديه من أوجه القصور، لكنه يفضل أن يتعايش مع مشكلاته دون سعي حقيقي للعلاج، لتكون تلك المشكلات مصدر رئيس للازمات النفسية لأفراده.

فهوية الغريب المقتول، كان هو نفس الشخص الذي تقدم في السابق لخطبة الأخت الصغيرة "ليلى"، ووجوده في المنزل لم يكن من أجل "حليمة" بل من أجل "ليلى"، لتكون "ليلى" كذلك ضحية المجتمع الزائف الذي يدفع أفراده إلى الفساد الأخلاقي في السر، ليتحول مفهوم الشرف إلى أداة لانهيار الأسرة بأكملها، وهو ما يؤكد عليه الكاتب في نهاية الأحداث، من خلال شخصية إسماعيل.

تحليل المسرحية:

نضح نص "شرف العائلة" بكمٍّ هائل من مظاهر التفكك التي طالت جميع شخصيات الأسرة تقريبًا، والتي مهد لها الكاتب منذ البداية من خلال تصوره عن الفضاء المسرحي، والذي يتمثل في غرفة تحقيق مظلمة، مجردة من أي تفاصيل، بلا نوافذ أو أبواب، وكأنها كتلة مغلقة تحاصر الشخصيات داخلها، ليكون هذا الاختزال المكاني ليس مجرد اختيار جمالي، بل هو إعلان صريح عن غياب الوعي الجمعي وضمور الضمير المجتمعي؛ فالمكان المظلم يرمز إلى عقول أُغلقت أبوابها بفعل الموروث القائم على العمى والتبعية، وأسَرَت الشخصيات في دوائر من الجهل والخوف، وهكذا نرى أن الظلام الذي يخيم على الغرفة هو انعكاس للظلام الذي يلفّ المجتمع بأسره، مجتمع تحكمه تقاليد بالية تفرض على أفراده قتلًا باسم الشرف دون تروٍّ أو تفكير.

(المشهد عبارة عن غرفة مظلمة ليس فيها سوى كرسي ومصباح معلق بالسقف، تحاول الشخصيات تباعًا الادلاء بالشهادة حول الحادثة للمحقق دون ان نراه)[٢٠: ١]

فيتوسط هذا الفراغ القاتم كرسي وحيد، يكاد يكون العلامة البصرية الأبرز في المكان، وهو دلالة على العزلة والانفراد التي يعيشها كل فرد من أفراد الأسرة، فبرغم ادعائهم المستمر بالترابط الأسري والتماسك الاجتماعي، إلا أن هذا الكرسي يكشف عن الحقيقة المؤلمة، بأنهم جميعًا يعيشون منفردين، فكل منهم محاصر داخل ظلّه وذكرياته وخوفه، وهكذا يصبح الكرسي رمزًا ماديًا لصورة عميقة من التفكك الأسري الذي يجعل كل شخصية أسيرة وحدتها الداخلية، رغم ادعاء العكس.

بينما يضع الكاتب مصباحًا وحيدًا معلقًا في سقف المشهد، يرسل ضوءًا خافتًا لكنه ثابت وحاضر، ليعزز فكرة الأمل التي لم تُطفأ تمامًا في هذا المجتمع، وكأن الكاتب يريد القول إن الظلام ليس قدرًا محتومًا، وإن الوعي – مهما ضعف – لا يزال قادرًا على الظهور إذا توافرت الإرادة، ليتحول الفضاء المسرحي إلى محكمة رمزية، يغيب فيها المحقق بوجوده المادي، للدلالة من البداية على أن المحاكمة لا تخص أشخاص، بل تخص الضمير المجتمعي الذي فقد بوصلته الأخلاقية.

إذ يكشف لنا الكاتب منذ الصفحات الأولى عن عائلة تتشبث بصورة زائفة عن نفسها، متوهمة أنها كانت تعيش حالة من الانسجام والاتساق الداخلي قبل اقتحام "حليمة" إلى عالمهم، فتقود الأم هذا الادعاء بصلابة لافتة، في محاولة أن تُظهر للعالم –ولأبنائها قبل ذلك– أن ما أصاب بيتهم من اضطراب لم يكن إلا نتيجة مباشرة لوجود "حليمة" بينهم، وكأنها هي الشرارة التي أشعلت الفوضى، أو النقطة التي انهار عندها البناء الأسري، غير أن قراءة الأحداث بعمق تكشف أن هذا التصور ليس سوى محاولة للهروب من الاعتراف بالخلل الحقيقي الكامن في جذور العلاقة بين أفراد الأسرة، خللٍ كان موجودًا ويمكن تلمّس أثره قبل ظهور "حليمة" بوقت طويل.

فالأم –بدافع من الخوف و الإنكار– تحاول إقناع نفسها بأن التخلص من "حليمة" سيعيد لحمة العائلة إلى سابق عهدها، وكأن قتلها يمثل صمامًا يعيد ضبط العلاقات المختلة، إلا أن هذا الإصرار لا يُخفي حقيقة أكثر مرارة، وهي أن العائلة لم تكن مترابطة أصلاً، وأن فكرة العودة إلى ماضٍ متماسك ليست إلا وهمًا يختبئون خلفه لتجنب مواجهة واقعهم المتهالك.

الأم : (بعصبية) تلك الأثمة اللعينة خربت حياتنا، ما كانت قبل من زواجها منه لو لا الحاحه المتكرر [٢٠: ٥]

فسردية الأسرة تجاه "حليمة" أنها كانت مصدر التفكك في حياتها، وسوف يصبح موتها أساس عودة التماسك داخل الأسرة، هي فرضية مخالفة للواقع، لأن التفكك الذي عاشته الأسرة لم يكن عارضًا أو وليد اللحظة، بل كان مرضًا بطيئًا ومستترًا، نما داخلهم عبر سنوات طويلة من الإنكار والصمت القهري، حتى صار جزءًا من نسيج علاقاتهم اليومية.

بينما جاءت "حليمة" بما تحمله من براءة لتعمل كمرآة عاكسة لما يشوب الأسرة من شوائب، تحدث شروخ وانكسارات بين أفرادها، فحضورها لم يكن تهديدًا بقدر ما كان كاشفًا لجوهرهم المختل. أدّى ذلك إلى انكشاف طبقات من الألم والزيف التي كانوا يفضلون تجاهلها، فظهرت النتوءات النفسية التي طال إخفاؤها تحت ستار الأخلاق والشرف، حتى بات التعامل معها أمرًا يفوق قدرتهم الداخلية على الاعتراف أو المواجهة؛ لذا بدا موت "حليمة" بالنسبة لهم مخرجًا مريحًا، ليس لأنها كانت سبب الخراب، بل لأنها كانت الشاهد الوحيد عليه، ووجودها كان يضعهم يوميًا أمام حقيقتهم التي لم يملكوا الجرأة على النظر إليها.

كما لم تكن "الأم" في نص المسرحية محورًا للتماسك الأسري كما يُفترض في البناء التقليدي للعائلة، بل جاءت شخصيتها لتكون أحد أهم العوامل التي أسهمت في تفكك الروابط بين جميع أفراد الأسرة، فقد أدّت دور الحارس الصلب للمظاهر، فحرصت على أن يبدو البيت متماسكًا ومنضبطًا أمام الآخرين، بينما كانت العلاقات الداخلية هشة لا تحتمل أي اهتزاز، وكان هذا الحرص على الشكل الخارجي دفعًا لها إلى تجاهل ما يحدث داخل أفراد أسرتها من ضغوط، وتجاهل حاجاتهم النفسية والعاطفية، فساهمت دون وعي في تعميق الشروخ ذاتها التي كانت تحاول إخفاءها.

ويظهر ذلك بوضوح في علاقتها بابنتها الكبرى "سامية"، التي تُقدَّم في ظاهر الأحداث بوصفها الأقرب إلى عقل "الأم" وقلبها، إلا أن هذه الصورة لا تصمد أمام التحليل الدقيق لمسار الشخصية، فـ"سامية" التي خضعت منذ

طفولتها لسلطة أم قاسية ومتطلبة، نشأت وهي تحمل تشوهات نفسية عميقة، نتجت عن سلسلة طويلة من القيود والقمع وإلغاء الذات، وعلى الرغم من أن "الأم" ترى فيها الابنة الأكثر انضباطًا والأكثر تمثيلاً لصورة العائلة، فإن الواقع يكشف أن سامية كانت الأكثر بعدًا عنها، لأنها تحمل في داخلها تراكمات من الألم والصمت لم تجد يومًا مساحة للاعتراف أو الاحتواء، وهكذا يتضح أن الأم، بدلًا من أن تكون مصدر الأمان والدعم، تحولت إلى قوة ضاغطة ساهمت في خلق جيل مهزوز وممزق من الداخل، وهو ما جعل انهيار الأسرة أمرًا حتميًا لا يرتبط بوجود "حليمة" أو غيابها، بل بمنظومة تربوية مختلة قادتها "الأم" نفسها.

سامية : لا أحد يتجرأ إلى النظر إليه لقد ألجموني هذا البيت وهم يرددون (لا تطلعين.. لا توكفين بالباب.. شعرج مبين.. رجلج مبينة .. سوك لاتروحين.. لا تصادقين فلانه .. لا تروحين .. لا تجين) (تصرخ) موتي .. موتي سامية. [٢٠: ١٢]

فتُعدّ "سامية" واحدة من أبرز الضحايا داخل هذه الأسرة التي تدّعي امتلاك توازن نفسي واجتماعي لا وجود له في الحقيقة، فبينما تحرص الأسرة على تقديم ذاتها بصورة منضبطة تحكمها الأخلاق والعادات، كانت "سامية" تعيش في واقع مغاير تمامًا، واقعٍ تتعرض فيه للقمع تحت ذرائع اجتماعية متوارثة أُلبِست ثوب القداسة، فقد نشأت سامية في بيئة تُقيّد حركتها وتُحاصر خياراتها، وتفرض عليها الامتثال الأعمى لقواعد تُصادر وجودها الفردي، وتحوّل أنوثتها إلى عبء يجب التخلص من آثاره أو إخفاؤه عن أعين الناس، وبدلًا من احتضانها ودعمها، أصبحت الأسرة نفسها هي مصدر جرحها، إذ تعاملت معها باعتبارها مسؤولية ثقيلة يجب ضبطها ومراقبتها باستمرار.

لتصاب شخصية "سامية" مع مرور السنوات بالتشوه الداخلي، الذي يجعل منها تعيش حالة من الارتباك بين ما يُطلب منها اجتماعيًا وما تحتاجه نفسيًا لتكون إنسانة سوية، فلقد اختُزلت قيمتها في كونها كيانًا ينبغي إخفاؤه لئلا تصبح سببًا في لوم المجتمع للأسرة بأكملها، فغدت الأنثى في هذا السياق مجرد رمز للخطر الأخلاقي المحتمل، لا فردًا له مشاعر ورغبات وحق في الحياة، لتكون "سامية" هي الوجه الأكثر تضررًا من قسوة النظام الأسري القائم على التبرير الأخلاقي للقمع، حيث تتحول الضحية إلى شاهد حي على تآكل الروابط الإنسانية تحت ضغط التقاليد البالية.

إلى جانب القيود الصارمة التي فرضتها الأسرة على "سامية"، واجهت أيضًا عبئًا نفسيًا إضافيًا تمثّل في تأخر زواجها، وهو أمر لم يكن نتيجة ظروف طبيعية أو خيارات شخصية، بل حصيلة مباشرة للقيود التي أحكمت بها "الأم" قبضتها على حياة ابنتها، فـ"الأم" مارست سلطة أبوية صارمة داخل البيت، ولم تكتف بحرمان "سامية" من فرصة الزواج الوحيدة التي ظهرت في حياتها، بل استمرت بعد ذلك في تكريس الشعور بالنقص لديها عبر التذكير الدائم بأنها "غير متزوجة"، وكأن هذه الحالة ليست مجرد وضع اجتماعي، بل وصمة تُسجَّل ضدها، ومع مرور الوقت تحوّل هذا الضغط إلى تهشيم داخلي عميق، جعل سامية تشعر بأنها أقل قيمة من باقي النساء في العائلة، وبأن تأخر زواجها دليل على معيب شخصي فيها.

الأمر الذي دفع "سامية" كذلك للانجراف نحو مشاعر الحقد على غير من النساء، نتيجة لمقارنة "الأم" بينها وبين غيرها، خاصة اللواتي يتمتعن بجمال ظاهر أو نصيب أوفر في الحظ العاطفي، لتكون الأسرة السبب الرئيس في تراكم عقدتين لدى "سامية"، تمثلت الأولى في عقدة الحرمان من حقها في الزواج والاختيار، بينما الثانية تجسدت في الغيرة ممن حولها، لتكون "سامية" نموذج للأنثى التي أضعفتها الأسرة، وجعلتها غير طامحة في الحياة، حتى وصول "سامية".

سامية : قد كنت نسيت الأمر وتعودت على حياة لم اخترها لي حتى جائت حليمة فهيجت وفجرت واستعرت براكين سنوات عمري [٢٠: ١٢]

فقد شكّل دخول "حليمة" إلى الأسرة لحظة مفصلية في حياة "سامية"، إذ كانت الشرارة التي أعادت إلى السطح كل تلك المشكلات النفسية التي حاولت "سامية" طيلة سنوات طويلة إخفاءها أو التعايش معها بصمت، فوجود "حليمة" لم يكن مجرد انضمام فرد جديد إلى العائلة، بل كان بمثابة مرآة كشفت لـ"سامية" ما تراكم بداخلها من حرمان وقمع وانكسار، وهي أمور لم تتجرأ على الاعتراف بها حتى أمام نفسها، لذلك كان من الطبيعي أن تتولد لدى "سامية" رغبة غريزية في استعادة السيطرة من خلال محاولة تقليد أساليب السلطة القهرية التي مارستها "الأم" عليها طوال حياتها، في محاولة لتكون هي الأم الثانية داخل الأسرة، وأن تعيد إنتاج المنظومة التي قُمعت بها، وكأنها بذلك تُسكن شعورًا قديمًا بالعجز كانت تعانيه.

لكن هذه المحاولة سرعان ما اصطدمت بشخصية "حليمة" نفسها، التي جاءت مختلفة تمامًا عن أفراد الأسرة الآخرين، فقد كانت حليمة تملك حضورًا داخليًا صافياً، وإيمانًا عميقًا بذاتها، وبقيمتها الإنسانية غير المشروطة بنظرة المجتمع أو أحكام العائلة، بالإضافة إلى قدرتها على ممارسة حياتها العاطفية والاجتماعية بصدق لا يُهادن، مما جعل "سامية" تدرك –دون قصد– حجم الخسارة التي لحقت بها عبر سنوات القمع الطويل، ومع هذا الإدراك المؤلم بدأت مشاعر الانتقام تغزو قلبها، لا لأن «حليمة» فعلت ما يستوجب الكراهية، بل لأنها جسّدت أمامها حياة بديلة كان يمكن لسامية أن تعيشها لو امتلكت الشجاعة اللازمة للخروج من أسر التقاليد.

ليكون قتل "حليمة" بالنسبة لسامية وكأنه محاولة يائسة لإسكات ذلك الصوت الداخلي الذي ظل يلومها باستمرار؛ ذلك الصوت الذي كان يذكرها بعجزها عن الثورة، وبقبولها لكل القيود التي فرضتها الأسرة عليها حتى انتهت إلى امرأة بلا زواج؛ ليؤكد الكاتب من خلال شخصية "سامية" إحدى صور التفكك الأسري، التي لم تحدث بصورة طارئة، بل بناء على سلسلة ممتدة من العنف النفسي.

كما لم يكن الشرخ بين "الأم" و"حامد" نتاج زواجه فحسب، بل نتيجة تراكمات طويلة من الاعتماد العاطفي غير الصحي، أظهرت أن العلاقة التي بدت في ظاهرها علاقة حب عميق، كانت في حقيقتها إحدى صور التفكك الأسري الصامت؛ تفكك يتجلى حين تتحول الأمومة من سند إلى سلطة، وحين تصبح مشاعر الابن الملكية الخاصة بالأم، لا حقًا طبيعيًا له في الحب والاختيار.

لذا عانى أفراد الأسرة –لا سيما– "إسماعيل" إن لم يكن في مقدمتهم، من غيابٍ صارخ للعدالة العاطفية داخل البيت، نتيجة انحياز "الأم" الكامل نحو "حامد" واعتباره ابنها المدلّل والأقرب إلى قلبها، فكان هذا الاختلال في توزيع المشاعر لم يكن مجرد خلل عابر، بل كان عاملًا رئيسًا في ترسيخ حالة من التفكك النفسي بين الأخوين، إذ شعر "إسماعيل" طوال حياته بأن وجوده داخل الأسرة وظيفي أكثر منه عاطفي، فهو يؤدي ما يُطلب منه وينفّذ ما تمليه عليه "الأم"، دون أن ينال في المقابل الحدّ الأدنى من التقدير أو الحب الذي يحتاجه ليشعر بالانتماء، ومع مرور الوقت تحوّل هذا الشعور بالقهر إلى غضب مكبوت تجاه "حامد"، الذي كان يحصل على الاهتمام والرعاية بلا جهد يُذكر، مما دفع "إسماعيل" إلى النفور منه تدريجيًا.

لتتفاقم درجة التفكك النفسي بين الأخوين بنجاح "حامد" في الزواج من "حليمة"، المرأة التي كان "إسماعيل" يرى فيها تعويضًا عن سنوات الفراغ العاطفي والرفض التي عاشها داخل أسرته، فزواج "حامد" من «حليمة» لم يمثل فقط خسارة عاطفية بالنسبة إلى "إسماعيل"، بل كان صدمة وجودية أكدت له أن كل ما يحلم به سينتقل إلى أخيه الأصغر، وهو ما عمّق شعوره بالدونية وولّد داخله حالة من التمزق الداخلي، تحوّلت في النهاية إلى تفكك نفسي كامل انعكس على سلوكه وقراراته.

إسماعيل : فتشت في قلبها عن حبي الضائع فلم اجده .. فتشت عن احلامي عن سنوات عمري ..كلها لم اجدها ..يا للخسارة .. ونسيت أن حامد يكبر هو الآخر معها حتى لاح بريقه فأعماها فزاغ بصرها أليه فملا منها الروح والعين قبل الفؤاد، لم تكن تقوى على مقاومته فقبلت به ورفضتني .. قبلت به يا امي دوني .. [٢٠: ١٥]

ف"إسماعيل" يحيا بجرح قديم، متمثل في رفض "حليمة" لحبه، وتقبلها حب أخيه، وهو ما يزيد من شعوره بالظلم، ويبرر تفكك علاقته بأخيه "حامد"، إلا أنه في ظل تشبعه بقيود السلطة القهرية، التي تفرض عليه من "الأم"، كون أفكارًا انعزالية ومغلوطة عن حقيقة الحب، فلم يستطع أن يلتفت إلى السبب الحقيقي وراء رفض "حليمه" له في الماضي، فهي لم تتقبل حبه الجسدي لها، والذي رغب في فرض عليها، بينما تقبلت الحب النقي من "حامد"، الذي يتقابل مع طبيعة شخصيتها البريئة والمتحررة من القيود المجتمعية التقليدية.

ومع تراكم هذه الخيبات، وتشبّع "إسماعيل" بقيم التقاليد القهرية التي غرستها الأم فيه منذ طفولته، لم يعد قادرًا على مراجعة ذاته أو مساءلة دوافعه، فكوّن صورًا ذهنية مغلوطة غذّت شعوره المستمر بالقهر والغيرة، وهكذا وجد نفسه محاصرًا بين حب مرفوض لم يفهم أسبابه، وبين مقارنة دائمة بأخيه الأصغر، مما ولّد داخله حالة العداء مكتوم، ساهم في تفكك العلاقات الأخوية داخل الأسرة بأكملها.

ولعل أهم ما أسهم في تصاعد هذا الصراع هو اكتشاف "سعاد" هشاشة النظام السلطوي الذي تُديره "الأم" داخل البيت، فقد كانت "الأم" تقدم نفسها بوصفها حارسة الشرف، وممثلة السلطة القهرية التي لا تُخطئ ولا تُراجع، وتمارس ضغوطها على الجميع لإخضاعهم لقواعدها، لكن المفارقة أن هذا البناء القيمي الصلب بدأ يتصدع عندما تكشّفت حقيقة أن وصمة العار التي حاولت العائلة إلصاقها بحليمة كانت تخفي حقيقة أخرى أشد

خطورة: فالعلاقة المشبوهة التي شكلت محور الاتهامات لم تكن خاصة بحليمة، بل كانت في الأصل مرتبطة بالابنة الصغرى "ليلى"، التي ظلت "الأم" تدافع عنها، مكرسة بذلك معيارًا مزدوجًا في الحكم والسلوك.

وبهذا الانكشاف تظهر لنا الأسرة في وضعها الحقيقي، حيث تعيش حالة عميقة من التفكك الداخلي القائم على التستر، والقمع، والإنكار، وتبادل الاتهامات، ليكون بذلك تمرد "سعاد" طبيعيًا؛ فحالما انهارت الصورة المثالية التي تبنيها الأسرة عن نفسها، أدركت أن خوفها كان قائمًا على وهم، وهكذا تأسست مرحلة جديدة في علاقة الزوجين، مرحلة أصبح فيها النزاع معلنًا، والخطوط المطموسة مرئية بوضوح، لتتحول الأسرة برمتها إلى نموذج صارخ لتفكك القيم، وتصدّع العلاقات، وانهيار البنى التي يفترض بها أن تحفظ اتزان الحياة الأسرية.

وهو أيضًا ما دفع العلاقات الأسرية بين كل أفراد الأسرة –التي ظلت في حالت تفكك نفسي لفترات زمنية طويلة– إلى التحول إلى حالة تفكك نفسي واجتماعي بصورة كاملة، باكتشاف حقيقة الحادث، وأن الغريب هو عشيق "ليلى"، أي أن وصمة العار التي حاولت الأسرة بأكملها –بقيادة "الأم"– لصقها في "حليمة"، هي في واقع الأمر تخصهم هم، ولأن ما ضمرته نفس الأسرة من عداء تجاه شخصية "حليمة" كونها نشاذ عن الإطار المجتمعي التقليدي، وما بنوا عليه ترابط علاقتهم الاسرية الظاهري؛ لذا انهارت تلك العلاقات باكتشاف الحقيقة، لينجح الكاتب في تأكيد على التفكك عند هذه المرحلة بأكثر من صورة.

فمن ناحية الشخصيات، تعمد الكاتب غياب كل من شخصية الأب، وكذلك الأطفال، ويمكن للباحثة أن تفسر ذلك في محاولة الكاتب التأكيد على أن غياب الأب كان له عامل كبير في غياب الإحساس بالأمان لدى "الأم" والأبناء منذ الصغر، وهو كان الدافع الرئيس في اتباع "الأم" لسياسة القهر بالاستناد إلى العادات والتقاليد، في سعيها للحفاظ على اسرتها داخل إطار مجتمعي يحكم على أفراده من سلوكهم السطحي البسيط، بينما جاء غياب الأطفال معبرًا –بصورة واضحة– عن غياب المستقبل عن الأسرة المفككة، فلم ينتج عن زواج "إسماعيل" بـ"سعاد" أي أطفال، بسبب غياب الحب بينهم، وشعور "سعاد" الدائم بالخوف"، كما لم ينجم عن زواج "حامد" بـ"حليمة" أطفال، نتيجة لعدم اتاحة الأسرة ذلك، وسعيهم الدائم إلى إنهاء زواجهم، فأظهر الكاتب كل العلاقات الزوجية في نص المسرحية بدون مستقبل، ليؤكد على أن الخوف قادر على إنهاء المستقبل.

لذا يمكن اعتبار نص "شرف العائلة" محاولة واعية لكشف التصدعات العميقة التي تتغلغل في بنية الأسرة من الداخل، إذ يبيّن أن الشروخ النفسية والاجتماعية بين أفراد البيت لا تنشأ فجأة، بل تتأسّس عبر سنوات طويلة من غياب المعاملات السوية القائمة على المحبة والاحترام المتبادل، فالأسرة في هذا النص لا تحيا وفق قيم الدعم والرعاية، بل وفق منظومة ممتدة من القمع والسيطرة، حيث يفرض كل فرد ذاته على الآخر عبر الخوف أو التهديد أو الاختزال في صورة نمطية، مما يحوّل بيت الأسرة إلى مساحة للاختناق بدل أن يكون ملاذًا للحماية، ومن خلال متابعة العلاقات بين شخصيات النص، يتضح أن هذا الافتقار لمشاعر التعاطف يقود تدريجيًا إلى تراكم توترات صامتة تتفاعل تحت السطح، فتصنع شبكة معقدة من الغضب المكبوت، والغيرة، والشعور الدائم بالتهديد، وهو محور أزمة التفكك داخل الأسرة.

النتائج:

١. الأسرة تمثّل النواة الأساسية للمجتمع، وأي خلل فيها يؤدي إلى اهتزاز في استقرار المجتمع.

٢. الفكر الغربي انقسم في مفهوم التفكك الأسري، بينما مؤيد لبقاء الأسرة ومؤكد على أهمية استقرارها بالصورة النمطية لتطور

٣. كشف تحليل نص "شرف العائلة" عن أن التقاليد والعنف الرمزي، كانا عاملان جوهريان في تفكك الأسرة العربية، فكانت سلطة الأعراف والقيم الزائفة التي انتجتها "الأم"، نموذج للخوف والقمع الاجتماعي، فتماسك العائلة قام على الرهبة من السلطة، لا على الألفة، مما أسهم في نشوء شبكه من الوترات الداخلية بين جميع أفراد الأسرة.

٤. يمكن رصد أن المسرح العربي يحاول معالجة أزمة التفكك الأسري، من منظور يتجاوز التشخيص الاجتماعي، حيث إن المسرح العربي لا يطرح التفكك بوصفه مشكلة اجتماعية فقط، بل يتجاوز ذلك إلى النظر له كبعد وجودي وروحي، لتكون الأسرة مرآة تمزق الذات العربية في مواجهة وقع مضطرب وقيم متحولة.

الاستنتاجات

١- يتضح من تحليل عينة البحث أن المسرح العربي لم يعالج التفكك الأسري بوصفه خللًا داخليًا يخص الأسرة وحدها، بل بوصفه نتيجة مباشرة لواقع عربي مأزوم تتشابك فيه الضغوط السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٢- تكشف عينة البحث أن الأسرة العربية في المسرح المعاصر تتعرض لخلخلة بنيوية مشابهة، مهما اختلفت السياقات، ففي "شرف العائلة" يبرز القمع الاجتماعي كمسبب رئيس للانهيار.

٣- لاحظت الباحثة من خلال تحليل العينات، أن النص المسرحي العربي يعرض التفكك ليس بصورة مباشرة فحسب، بل يلجأ إلى رموز مكثفة تعكس عمق الأزمة.

٤- أن الانهيار الأسري يحدث عند نقطة انقطاع التواصل بين الأفراد، ففي نص "شرف العائلة" كان غياب الحوار والاحتواء سببًا في تشويه الشخصيات ودفعها إلى العنف والتمرد.

٥- يُظهر النص (عينة الدراسة) أن التفكك الأسري ليس نتاج موقف واحد أو حدث صادم، بل حصيلة تراكمات طويلة من الإهمال والقمع وسوء الفهم، ففي نص "شرف العائلة" تُبنى الأزمة منذ سنوات عبر منظومة ممتدة من السيطرة والخوف.

٦- يعكس لنا النص (عينة الدراسة) كمرآة تبرز اختلال المنظومة الاسرية في المجتمعات العربية، فنص "شرف العائلة" تُعيد الأسرة إنتاج سلطة المجتمع وقيمه من خلال سلطة "الأم".

التوصيات

ضرورة توجيه كتاب المسرح لتعميق المعالجات الدرامية لظاهرة التفكك الأسري، بصوفها ظاهرة اجتماعية ونفسية تؤثر في بنية المجتمعات العربية.

المقترحات

-التحولات القيمية داخل الأسرة العربية وانعكاساته على الدراما المسرحية المعاصرة.

الهوامش

* **مثال غازي:** هو كاتب مسرحي عراقي ولد في بغداد عام ١٩٦٧م، وحاصل على درجة الدكتوراة في الفنون المسرحية وله العديد من المؤلفات المطبوعة مسرحية (ما لا ياتي) دار شؤون الثقافية بغداد ١٩٩٠ مسرحية (عبد الله بن الزبير) الإمارات الشارقة ٢٠٠١ ومسرحية (التخمة) الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر العربية ٢٠٠٣ مسرحية (اظلام) دار شؤون الثقافية بغداد ٢٠١١ مسرحية (دم يوسف) دار شؤون الثقافية بغداد ٢٠١٦، كما تحصل على العديد من الجوائز العربية منها: جائزة الشارقة للإبداع العربي المركز الأول مسرح الدورة الرابعة ٢٠٠٠، وجائزة (محمد تيمور) مصر المركز الثاني ٢٠٠١م، الجوائز المحلية: جائزة أدب الشباب المركز الأول مسرح ١٩٩٢ بغداد دار شؤون الثقافية، جائزة أفضل تأليف عن مسرحية (الممسوخون) منتدى المسرح ١٩٩٦ بغداد، وجائزة أفضل تأليف عن مسرحية (مكانك أيها السيد) البصرة ٢٠٠١ جائزة الإبداع ٢٠١٠ وزارة الثقافة عن مسرحية (بانتظار المطر).

المصادر

[١] علياء شكري، **الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة**، د.ط، القاهرة، دار المعارف، (١٩٧٩م)

[٢] حسن مصطفى عبد المعطي، **الأسرة ومشكلات الأبناء**، ط.١، القاهرة، دار السحاب للنشر والتوزيع، (٢٠٠٣م)

[٣] فكيه محمد جمعة : **التفكك الأسري وأثره على استقرار المجتمع**، القاهرة، مجلة الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، العدد ٣٥،(٢٠١٩م)

[٤] مازن بن صلاح مطبقاني : **الغرب من الداخل الأسرة في بعض المجتمعات الغربية المعاصرة**، المملكة العربية السعودية، (٢٠١٩م).

[٥] Cicero : **On the Republic, On the Laws** , Translate: Oxford World Classic ,U.S.A, Tufts University, (٢٠٠٩).

[٦] جان جاك روسو : **العقد الاجتماعي**، ترجمة : عادل زعيتر، د.ط ،القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (٢٠١٣م)

[٧] John s.Mackenzie : **An introduction to social philosophy**, second edition, new York, macmillan and co, ١٨٩٥)

[٨] ألسدير ماكنتاير: **بعد الفضيلة بحث في النظرية الأخلاقية**، ترجمة: حيدر حاج، ط.١، لبنان، المنظمة العربية للترجمة، (٢٠١٣م)

[٩] فوستيل دي كولانج : **المدينة العتيقة**، ترجمة : سليم حداد، ط.١، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، (١٩٨٧م)

[١٠] أفلاطون : **الجمهورية**، ترجمة : شوقي داود تمراز، د.ط، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، (١٩٩٤م)

[١١] إنجلز ماركس: **البيان الشيوعي**، ترجمة : العفيف الأخضر، ط.١، بيروت، منشورات الجمل، (٢٠١٥م)

[١٢] على عبد الواحد : **المدينة الفاضلة الفارابي**، د.ط، القاهرة، نهضة مصر، (١٩٩٦م)

[١٣] ابن سينا : **الشفاء " الفلسفة العملية"**، د.ط، القاهرة، وزارة المعارف العمومية، (١٩٥٢م)

[١٤] عبد الرحمن ابن خلدون : **مقدمة ابن خلدون– المجلد الأول**، د.ط، بيروت، مكتبة لبنان، (١٨٥٨م)

[١٥] حسين الإدريسي : **محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي**، ط.١، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، (٢٠١٠م)

[١٦] خديجة محمد حسن: **العوامل الاجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بالمرض في ولاية الخرطوم**، السودان، جامعة أم درمان الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، (٢٠١٢م)

[١٧] ازدهار خلف الهواري، نجاح حسين الهبارنه : **العوامل المؤدية إلى التفكك الأسري وانحراف الأحداث في المجتمع الأردني**، الأردن، مجلة كلية التربية، العدد ١٦٨، (٢٠٢٠م)

[١٨] سليم العايب، خيرة بغدادي : **التفكك الأسري وأثره على انحراف الطفل**، الجزائر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، ٩-١٠ ابريل (٢٠١٣م)

[١٩] وفاء شلبي، السيد زيدان وآخرون: **علاقة التفكك الأسري بقدرة الأبناء المراهقين على اتخاذ القرارات دراسة ميدانية بمحافظة القليوبية**، مصر، جامعة المنصورة، المؤتمر العلمي السنوي الرابع، ابريل(٢٠١٢م)

[٢٠] مثال غازي: **مسرحية شرف العائلة**، ٢٠١٩م. تاريخ الوصول ٢٠٢٥/١١/١ : https://www.alfurja.com/?p=٣٤٠٢١.